بلاد فارس

كما وصفها سائح روسي

اذا ما وطئت قدما السائح أرض بلاد فارس تمثل أمام عينيه مناظر متناقضة متعددة : فسهولها الشمالية المنخفضة المتاخمة لبحر قزوين والمفصولة فصلاً تاماً عن بلاد ايران المركزية بسلسلة جبال ألبرز عبارة عن منطقة حارة شديدة الرطوبة كثيرة الخضرة كأنها بساط سندسي زخرفته يد الطبيعة بأروع المناظر وأشدها رواء وبهاء. وفي هذه السهول غابات كثيفة مغروسة بلا تنظيم من أشجار البلوط والبرتقال والتين وقصب السكر والشاي. وتمتاز هذه المنطقة المدعوة جيلان بوفرة المياه وحقول الأرز المغطاة دائماً أبداً بالماء وشدة الرطوبة ولذلك ترى الأهالي يقاسون الأمرين من فتك الحمى الملارية المتوطنة هناك وقد راعوا هذا الأمر في بناء منازلهم حيث يجتهدون بجعلها مرتفعة عن سطح الأرض تخلصاً من تلك الرطوبة القاسية. واكثرهم يتخذون مسكناً الطبقة الثانية من المنزل

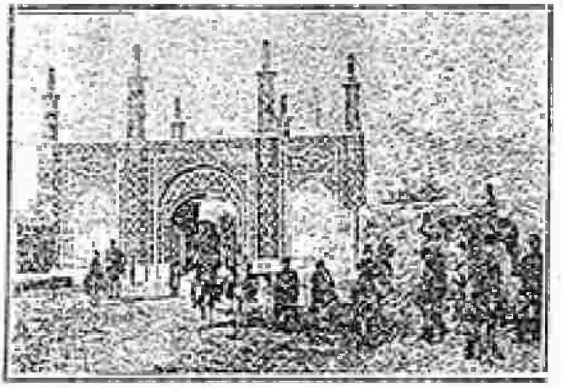

بوابة مدينة طهران

واذا ما اجتاز السائح سلسلة الجبال المذكورة آنفاً ووصل بلاد ايران المتوسطة يرى أمامه بدلاً من سهول جيلان المائجة بأشجارها وخضرتها مساحة شاسعة من الارض لا يقع البصر على آخرها رملية صخرية صفراء غبراء أو بعبارة أوضح يرى أمامه صحراء قاحلة جدباء ما عدا الجزء الشمالي منها حيث تمتد سلسلة

من الجبال يغطيها الثلج . والطريق يقاطع مجاري بعض الأنهر التي تجري فيها المياه في فصل الربيع من المياه المتحدرة من رؤوس الجبال المغطاة بالثلج . ثم ان هذه الصحراء خالية من عيون المياه وترى الاهالي يجرون مياه العيون الموجودة فوق الجبال بأنابيب يمدونها تحت الارض أميالاً من الكيلومترات ليشربوا منها ويسقوا بساتينهم وحيواناتهم واراضيهم . ومنازل الاهالي بنى منخفضة جداً من اللبن الأخضر أو من التراب بدون نوافذ وليس لها الا باب واحد يدخل منه النور والهواء .

واذا دخل الانسان مدينة فارسية فانه يستولي عليه الدهش الشديد لما يراه فيها من أمارات الموت والسكينة المستتبة . ان الحجاب الشرعي للنساء في بلاد فارس أوجد شكلاً خاصاً وهندسة قائمة بذاتها لبناء المنازل التي تطل على الشوارع بجدرانها الصماء التي لا نوافذ ولا شرفات لها ووراء هذه الجدران تجد الحدائق الغناء والرياض الفيحاء وأحواض المياه والناقورات العديدة التي تتدفق منها المياه الى علو شاهق .

وأما أسواق المدن فهي عبارة عن عالم مستقل عن المدينة وكل طائفة من التجار وأرباب الحرف وصناع السلع لها سوق خاص بها فذلك مثلاً سوق الأقاويه (العطارين) المتنوعة تجذبك الروائح الحادة المتصاعدة منه من مسافة بعيدة فتصل اليه ماراً بسوق النحاسين حيث العمال يطرقون النحاس في كل دكان فتتصاعد أصوات تصم الآذان وتزعج الابدان واذا مارصلت الى سوق الخبازين استنشقت روائح زكية تهيج الشهية وهناك باعة الخبز الرقيق الذي يشبه الورق المدعو « لافاش » وهو خبز لذيذ الطعم سهل الهضم . وأما حي باعة الابسطة والنمارق والسجاجيد فان السكينة ضاربة فيه أطنابها والعظمة رافعة قبابها وترى فيه الشيوخ التجار جالسين على أرائك الجلال وفوق رؤوسهم العمائم البيضاء ولحاهم الحمراء المخضبة بالحناء تكسوهم هيبة ووقاراً . وهم طول النهار يدخنون النارجيله ويشربون الشاي بلا انقطاع في أكواب صغيرة .

ان طوائف التجار والصناع والعمال يلعبون دوراً مهماً في حياة البلاد السياسية

والاجتماعية وهم محافظون كل المحافظة على عاداتهم وتنظيم طوائفهم وشؤونهم كما كانوا في العصور الوسطى ويبلغ عددها في بلاد فارس نحو ٩٠ طائفة أو نقابة . ومن الطرق الشيعة في بلاد فارس عادة وطنية وهي ان الاهالي اذا أصابهم غبن أو ضيم أو ظلم فادح فانهم يتجمهرون جماعات كبيرة ويقصدون أحد الملاجئ الآمنة (كالمسجد او اصطبل الشاه او قنصلية احدى الدول أو مكتب التلغراف) ويرسلون وهم في الملجأ تلغرافات الاحتجاجات والشكايات الى الصحافة ورجال الحكومة طالبين بشدة رفع المظالم او المغارم عنهم .

في أصفهان — جمهور من الايرانيين يجتمعون في مكتب التلغراف

عاصمة بلاد فارس مدينة طهران وهي مزيج من المدن الاسيوية والأوربية وفيها عدة مبان مشيدة على الطراز الحديث ولكن الغربي قلما تهمه أمثال هذه المباني بل تهمه قصور جولستان القديمة الفخمة المملوءة بكنوز وتحف الفنون الفارسية الجميلة التي تأخذ بمجامع القلوب وهناك يوجد فيها عرش المغول العظام الطاوسي الشهير الذي احضره نادر شاه من الهند

ثم ان قصور وحدائق جولستان واحواضها وغدرانها التي يتدفق منها الماء

كالليالي ترمز الى رفاه الحياة والكسل الشرقي المثالة أعظم تمثيل في حكايات الف ليلة وليلة

ان بلاد ايران القديمة التي كان الاجانب يحاولون خلبها وامتصاصها خالية من طرق المواصلات المنظمة ولكن ايران الحديثة التي طرحت عن كاهلها نير الاستعباد اخذت تفكر في تنظيم طرق السيارات ومد الاسلاك الحديدية للقطارات وقد وضعت الحكومة أمام عينيها مشروع الانتفاع بالطيارات وهي تدرس هذه المسألة درساً دقيقاً لتحل أسراب الطيارات

الغداءون الذين يمدون أمام عربة الشاه

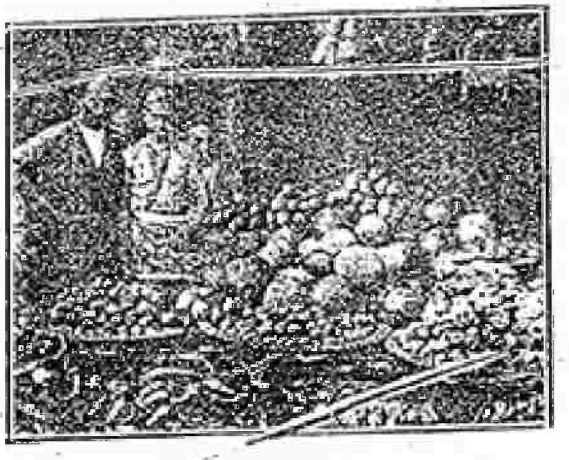

بائع فواكه

والسيارات محل قوافل الجمال القديمة

وختم السائح مقالته بقوله : ان روسيا القديمة كانت تصرف مصنوعات مصانعها في بلاد فارس فخنقت الصناعة الفارسية وضغطت بيد من حديد على تقدم البلاد ورقيها والآن وقد زال ذلك الكابوس فان البلاد ستسير في مضمار الرقي والحضارة وستخطو خطوات واسعة في دور النهوض الذي نهضته في هذه الايام

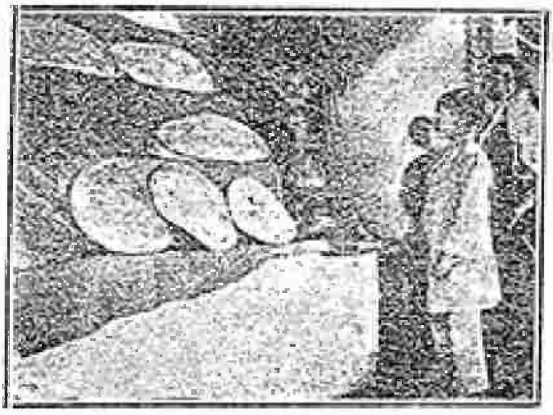

بائع الخبز (لافاش)

(الصور) مشهد لمرتفعات البرز في الشتاء ومنظر